بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

شرف كبير لهذا القلم المتواضع أن يقدم عالما كبيرا جليلا ، وأستاذا فاضلا غنيا كل الغنى عن التعـريف به ، فضلا وعلما وأدباً وخلقا . . عالما يعتز بعلمه . . ومؤمنا غيورا على دينه لا تأخذه فى الحق لومة لائم . . ولا يضن بقلمه ليدفع به عن الإسلام تطاولات المتطاولين عليه ، ومناوشات المناوشين له ، وليشهره فى مواجهة الأقلام الزائغة ، سواء أكان حملتها ممن ينتمون الى الاسلام من واقع شهادات مواليدهم ، أم ممن لا ينتمون الى الاسلام ولا تسيل أقلامهم إلا حقداً على الإسلام ، ولا تبذل أفكارهم إلا افتراء عليه . .

إن القضية التى عرض لها أستاذنا فضـــيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر ، قضية لها أهميتها ، بل لها خطورتها ، لأنها قضية تتناول الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم ، وتكشف عن داوفعها ، وتدمغها . . تتناولها فى جرأة بلا تردد ، وفى شجاعة بلا مجاملة ، وفى نزاهة بلا محاباة . .

إن البعض منا لا يزال يعترف لكتب التفسير بشيء من القداسة ، وننسى أن المفسرين بشر غير معصومين ، وأن التفاسير كانت مجالا واسعا لتسلل الآراء التى تفسد الذوق القرآنى ، اما بدافع من الجهل ، واما بدافع من الهوى ، وكانت مرتعا خصبا لاحتواء الآراء التى تتعصب للمذهبية وتتشيع للطائفية ، ولقد وجد المبشرون الحاقدون ، والمستشرقون ذوو الأهواء ، وجدوا فى التفاسير ـ أو بمعنى أدق ـ فى بعضها ضالتهم المنشودة فألفوا الكتب وسطروا المقالات لينالوا من كتاب الله عز وجل . .

إن أستاذنا الدكتور الذهبى يعتبر من الطلائع الذين عنوا عناية كبرى بتنقية التفاسير مما شابها ، ولقد كانت رسالته التى تقدم بها لنيل العالمية من درجة أستاذ منذ أكثر من ثلاثين عاما « التفسير والمفسرون » فى ثلاثة أجزاء من الدراسات الجديرة بكل تقدير . .

وكان التقدير الكبير للمؤلف الراحل المغفور له الدكتور محمد حسين الذهبى أن نفدت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى أسابيع معدودة ، ويشاء الله العلى القدير الذى لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ـ أن يرحل المؤلف عن هذه الدار والكتاب فى طريقه الى الطبع ، وقد كان وقع المأساة شديدا على كل نفس . . وفى غضون هذه المأساة لم يكن لائقا أن يظهر الكتاب فى السوق . . أما وقد مضى على المأساة وقت طويل . . فليس من الحكمة أن يحجب العلم عن الناس ، بل وليس من الوفاء للعالم الجليل أن نتعمد نسيان علمه الفياض بالغيرة على دين الله والاخلاص لعقيدة الاسلام . . .

رحم الله الفقيد . . ونسأله تعالى أن ينفع المسلمين بعلمه . . وأن يجزيه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء . .

وبعد . . فلا أظن هذه الكلمات السريعة توفى هذه الدراسة التى بين أيدينا حقها من التقدير ، ولنترك للقارىء أن يتلافى هذا التقصير بمشاعره وأحاسيسه . .

والله الموفق . .

محمد عبد الله السمان

***

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على محمد عبد الله ورسوله الذى شرفه ربه بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . . كتاب يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيـم .

. . . وبعد ، فقد قرأت فى كتب التفسيـر قديمها وحديثها ما شاء الله أن أقرأ . . قرأت فيها على اختلاف مناهجها ، وتباين اتجاهاتها ، وتلون أساليبها ، فرأيت الكثير منها لا يخلو من اتجـاهات منحـرفة فى فهم النص القرآنى ، وتأويلات باطلة ، بعضها متكلف مرذول ، يمجه الذوق السليم ، وتأباه بلاغة القرآن الكريم ، وبعضها لا يتفق وقواعد الدين ، وربما خرج بصاحبه إلى زمرة من ليسـوا بمسلمين !!

وقد رأيت أن أتتبع هذه الانحرافات فى كتب التفسير على اختلاف عصورها ، وتباين مذاهبها واتجاهاتها ، ثم أجمع من هذه الأفكار المنحرفة ، والتأويلات المحرفة لكتاب الله مثلا عدة ، أرجعها إلى أسبابها ودوافعها التى دفعت بقائليها الى أن يسودوا بها

صحائف تفاسيرهم ، ثم أدفع هذه الأباطيل ، وأزيف هذه السخافات والأضاليل ، التى تروج على بعض الأغمار الجهلة ، وكثيراً ما يخدع بها من أخذوا من العلم نصيبا لا يحميهم من هراء المبتدعة ونزغات المضللة .

وحسبى أن أكون قد دافعت بهذا عن كتاب رب العالمين ، ونفيت عنه عبث العابثين وأباطيل الملحدين ، وبينت لمن خدعوا بهذه الاتجاهات المنحرفة ، والمذاهب الفاسدة ، حقيقة هذه الاتجاهات والمذاهب ، وعرفتهم أسبابها ودوافعها ، حتى يأخذوا حذرهم فلا يصدقوها ولا يفتنوا بها ، وحتى يرجعوا إلى كتاب ربهم فيفهموه على صفائه ونقائه ، ويعملوا به على بينة من هديه وضيائه ، فيسعدوا به كما سعد أسلافهم ، ويأخذ بأيديهم إلى طريق الفلاح والفوز المبين .

وقد رتبت هذا البحث على مقدمة وتسع مقالات ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

القاهرة فى :
٤ جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ هـ
٢٠ أغسطس سنة ١٩٦٦ م

محمد السيد حسين الذهبى

***